٨ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثانى

كريتون أو واجب المواطن

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحـــوار : سجن ســـقراط

سقراط — وستقول القوانين بعدئذ : « اعلم ياسقراط ، إن صح هذا ، أنك بهذه المحاولة إنما تسىء الينا ، لأننا بعد إذ أتينا بك الى الدنيا ، وأطعمناك وأنشأناك وأعطيناك كما أعطينا سائر أبنا الوطن قسطا من الخير ، ما استطعنا للخير عطاء ، فقد أعلنا فوق ذلك على رءوس الأشهاد أن من حق كل اثينى أن يرحل الى حيث شاء حاملا متاعه معه ، إذا هو نفر منا بعد أن تقدمت به السن فعرفنا حق المعرفة وعرف على أى الأسس تسير المدينة ، وليس فينا نحن القوانين ما يحول دونه أو يتدخل معه فى أمره ، فلكل منكم إذا ما كرهنا وكره المدينة ، وأراد الرحيل الى إحدى المستعمرات أو الى أية مدينة أخرى ، أن يذهب حيث شاء ، وأن ينقل متاعه معه ؛ أما ذلك الذى عركنا فعرف كيف نقيم العدل وكيف ندير الدولة ، ثم رضى بعد ذلك المقام بيننا ، فهو بذلك قد تعاقد ضمناً على أنه لابد فاعل ما نحن به آمرون . فمن عصانا ، ونحن مانحن ، فقد أخطأ مرات ثلاثاً : الأولى أنه عصى والديه بعصيانه إيانا ، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته ، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهداً أنه سيطيع أوامرنا ، فلا هو أطاعها ، ولا هو أقنعنا بأنها خاطئة ، ونحن لا نفرضها عليه فرضاً غشوماً ، ولكنا نخيره ، فإما طاعتنا وإما إقناعنا . هـذا ما قدمناه إليه ، وهذا ما رفضه جميعاً . تلك هى صنوف المآخذ التى ستقيم من نفسك هدفاً لها ياسقراط إذا أنت أنجزت عزيمتك ، كما سبق لنا بذلك القول . ولا سيما أنت دون الآثينيين جميعاً » وهب أنى سألت ولم هذا ؟ فستجيب حقاً بأننى قد سلمت بهذا الاتفاق دون سائر الناس . ستقول القوانين « إن ثمت برهاناً ساطعاً ياسقراط ، بأننا والمدينة معنا لم نكن لنعكر عليك صفو العيش ، فقد كنت أدوم الآثينيين جميعاً مقاماً فى المدينة : لم تغادرها قط ، حتى ليتجوز لنا الفرض بأنك كنت تحبها ؛ إنك لم تغادرها مطلقاً لتشهد الألعاب ، اللهم إلا مرة واحدة حين ذهبت لترى البرزخ[1] ، ولم تفصل عنها لتقصد إلى أى مكان آخر ، إلا إذا كنت فى خدمة الجيش ، ولم تسافر كما يسافر الناس ، ولم يدفعك حب الاستطلاع إلى رؤية الدول الأخرى لتلم بقوانينها ، فقد اختصصتنا بحبك لم تجاوز به حدود دولتنا ، فكنا نحن أصفياءك المخلصين ، وقد رضيت بحكمنا إياك . إن هـذه هى الدولة التى أعقبت فيها أبناءك ، وإن ذلك ليهض دليلاً على رضاك . هذا وقد كنت تستطيع لو أردت أن تقرر عقوبة النفى أثناء المحاكمة — وإن كان الآن ثمت دولة تغلق دونك أبوابها فقد كانت حينئذ تسمح بذهابك إليها ، ولكنك ادعيت أنك تؤثر الموت على النفى ، وأنك لم تبتئس من الموت . ولكن هأنت ذا الآن قد أنسيت تلك العواطف الجميلة ، وترفض أن تحترمنا — نحن القوانين ، التى أنت هادمها ، وإنك الآن لتفعل مالا يفعله إلا العبد الخسيس ، فتولى أدبارك هارباً من العقود والعهود التى قطعتها على نفسك باعتبارك واحداً من أبناء الوطن ؛ فأجب لنا أولاً عن هذا السؤال : أنحن صادقون فى القول بأنك اتفقت على أن تُحكم وفقاً لنا ، بالفعل لا بالقول فقط ؟ أهـذا حق أم كذب ؟ بماذا نجيب عن ذلك ياكريتون ، ألسنا مضطرين إلى التسليم ؟

كريتون ـ ليس عن ذلك منصرف يا سقراط

سقراط ـ أفلن تقول القوانين إذن : « إنك ياسقراط ناقض المواثيق والعهود التى أخـذتها معنا على نفسك اختياراً ، فما كنت فى أخذها مجلان ولا مجبراً ولا مخدوعاً ، ولكنك لبثت سبعين عاماً تفكر فيها ، وكنت خلالها تستطيع أن تغادر المدينة إن كنا لم نصادف من نفسك قبولاً ، أو كنت قد رأيت فيما اتفقنا عليه اجحافاً بك . كنت فى ذلك مخيراً ، وكان فى مقدورك أن ترحل إما إلى لا قيدمون أو إلى كريت اللتين كثيراً ما امتدحتهما لحسن حكومتيهما ، أو ترحل إلى أية دولة أجنبية

(١) يرجح أن المقصود هنا برزخ كورنث الذى يصل شبه جزيرة المورە بشبه جزيرة البلقان ، وبقربه تقع أثينا

يونانية أخرى . ولـكنك كنت تبدو ، أكثر من سائر الأثينيين جميعاً ، شغوفاً بالدولة ، أو بعبارة أخرى ، بنا — أى بقوانينها (إذ من ذا الذى يحب دولة لاقوانين لها) فلم تتزحزح عنها قط ، ولم يكن العُمى ، والعُرج ، والمقعدون ، بأكثر منك قبوعاً بها ؛ وهأنت ذا الآن تفر ناقضاً ما قطعته من عهود . ماهكذا ياسقراط إن أردت بنا انتصاحا ، لا تضع نفسك بهروبك من المدينة موضع السخرية

« وحسبك أن ترى أى خير تقدمه لنفسك أو لأصدقائك ، ان أنت اعتديت أو أخطأت على هـذا الوجه ؟ أما أصدقاؤك فالأرجح أن يُشـرّدوا نفياً ، وأن يسلبوا حق انتسابهم للوطن أو أن يفقدوا أملاكهم . أما عن نفسك أنت ، فلو تسللت إلى إحدى المدن المجاورة ، إلى طيبة أو ميغارا مثلاً ، وهما مدينتان تسيطر عليهما حكومة حازمة ، فستدخلهما عدواً ياسقراط وستناصبك حكومتاها العـداء ، وسينظر اليك أبناؤها الوطنيون بعين ملؤها الشر لأنك هادم للقوانين ، وسيقر فى عقول القضاة أنهم كانوا فى إدانتهم إياك عدولاً . فأغلب الظن أن يكون مفسد القوانين مفسداً للشبان ، وأن يكون بلاء ينزل بالغفلة على بنى الانسان . فلم يبق لديك إلا أن تفر من هذه المدن المنظمة ومن ذوى الفضل من الرجال ، ولـكن أ يكون الوجود حقيقاً بالبقاء على هذه الحال ؟ أم أنك ستغشى هؤلاء الناس فى صفاقة يا سقراط لتتحدث اليهم ؟ وماذا أنت قائل لهم ؟ أتقول ماتقوله هنا من أن الفضيلة والعدالة والتقاليد والقوانين أنفس ما أنعم به على الناس ؟ أ يكون ذلك منك جميلاً ؟ كلا ولا ريب . أما إن فررت من الدول ذوات الحكم الحازم ، الى تساليا حيث أصـدقاء كريتون ، وحيث الاباحية والفوضى ، فسيجدون متاعاً فى قصة هروبك من السجن ، مضافاً اليها ما يبعث على السخرية من التفصيل عن كيفية تنكرك فى جلد عنزة أو ماعداه من أسـباب التنكر ، وعما بذلته من ملامحك كما جرت بذلك عادة الآبقين — ليس ذلك كله ببعيد ، ولـكن ألن تجـد هناك من يذكرك بأنك وأنت هذا الشيخ الـكهل ، قد نقضت أشد القوانين تقديساً ، من أجل رغبة حقيرة فى ابتزادة الحياة زيادة ضئيلة ؟ قد لاتجـد إذا استرضيتهم ، ولـكن لاتلبث أن تثور منهم سورة الغضب ، حتى يصكوا مسمعيك بما يجللك عاراً . إنك ستعيش ، ولـكن كيف ؟ — متملقاً للناس جميعاً وخادماً للناس جميعاً . وماذا أنت صانع ؟ — ستأكل فى تساليا وتشرب ، لأنك قد غادرت البلاد لـكى تصيب فى الغربة طعاماً لغدائك ، وأين ترى ستكون تلك العواطف الجميـلة التى تبديها حول العدل والفضيلة ؟ قل إنك راغب فى الحياة من أجل أبنائك لتتعهدهم تربية وإنشـاء — ولـكن أأنت مصطحبهم الى تساليا ، فتقضى عليهم بذلك ألا يكونوا أبناء الوطن الأثينى ؟ أذلك ما ستمنحهم إياه من نفع ؟ أم أنت تاركهم واثقاً بأنهم سيكونون أحسن رعاية وتربية مادمت أنت حياً ، حتى ولو كنت غائباً عنهم ، إذ يعنى بهم أصدقاؤك ؟ هل تخيل لنفسك أنهم سيعنون بهم ما أقمت فى تساليا ، أما إن صرت من أهل العالم الآخر ، فلن يعنوا بهم ؟ كلا ، فان كان من يسمون أنفسهم أصدقاء ، أصدقاءك حقاً ، فانهم لاشك معنيون بأبنائك

« اصغ إلينا إذن ياسقراط ، نحن الذين أنشأناك . لا تفكر فى الحياة والأبناء أولاً ، وفى العـدل آخراً ، بل فكر فى العدل أولاً ، وارج أن تصيب البراءة عند ولاة العـالم الأسفل . فان فعلت ما يأمرك به كريتون ، فلن تـكون أنت ولا من يتعلق بك كائناً من كان ، أسعد أو أقدس أو أعدل فى هذه الحياة ولا فى أية حياة أخرى . فارحل الآن بريئـاً ، مجاهداً لا فاعلاً للرذيلة ، ضحية الناس لا ضحية القوانين . أما إن صممت أن ترد الشر بالشر والضر بالضر ، ناقضاً ما قطعته أمامنا على نفسك من عهود ومواثيق ، مسيئاً إلى أولئـك الذين ينبغى ألا يمسهم من إساءتك إلا أقلها ، أعنى نفسك ، وأصدقاءك ، ووطنك ، ونحن ، فسننتقم عليك مادمت حياً ، وستستقبلك قوانين العالم الأسفل ، وهى إخوتنا ، عدواً ، لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعاً فى هدمنا . اصغ إذن إلينا ، لا إلى كريتون »

هذا هو الصوت الذى كأنى به يهمس فى مسمعىّ ، كما تفعل نغمات القيثـارة فى آذان المتصوف . أقول إن هذا هو الصوت الذى يدوّى فى أذنىّ ، فيمنعنى من أن أستمع الى أى صوت سواه وإنى لأعلم أن كل ما قد تقوله بعد هذا سيذهب أدراج الرياح ، ومع هذا ، تكلم إن كان لديك ما تقوله

كريتون — ليس لدى ما أقوله ياسقراط

سقراط — ذرنى إذن أتبع ما توحى به إلىّ إرادة الله

زكى نجيب محمود

انتهى الحوار الثانى ، وسننشر الحوار الثالث ابتداء من العدد الآتى